

## مضمون كتاب موسى عليه السلام مقارنة

### بمضمون أسفار موسى الخمسة

#### كيف نعرف مضمون كتاب موسى عليه السلام؟

إذا كنا قد تعرفنا على أن الله سبحانه وتعالى قد أتى موسى كتاباً ثم نزل التوراة بعد هذا الكتاب يجدر بنا أن نتوقف عند محتوى هذا الكتاب كما أشار له القرآن الكريم ونقارن ما جاء فيه بما أشارت له التوراة طالما أن قصة التنزيل في إطارها العام هي نفسها كما جاءت في التوراة والقرآن من حيث مكان التنزيل وصيام موسى عليه السلام أربعين يوماً وعبادة العجل من قبل بني إسرائيل في غيابه .

والواقع أن هناك عدداً كبيراً من آيات القرآن الكريم تحدثت عن كتاب موسى ، فإذا تنبهنا لما ذكره القرآن الكريم عن الإشارات لمضمون ما جاء في الألواح وللأحكام التي فرضت على بني إسرائيل استطعنا أن نتعرف على مضمون ما أنزل على النبي موسى عليه السلام يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِزَيْبِهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف 154].

ويقول تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف 145].

ففي الإطار العام فإن ما كتب في الألواح هدى ورحمة وموعظة وتفصيلاً للأحكام والتشريع لكننا إذا راجعنا الآيات الأخرى - وهي كثيرة - سنرى أن ما تضمنه كتاب موسى هو الأسس الأولى لعقيدة التوحيد .

وأولها: الاعتماد على الله وحده وعدم الإشراك به . وذلك في قوله تعالى :  
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ [الإسراء 2].

ثانيها: الدعوة للإيمان باليوم الآخر واليقين الإيماني منه وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام 154].

ثالثها: في الكتاب أحكام وتشريعات أعرض عنها بنو إسرائيل وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران 23].

وإذا نظرنا إلى الأحكام والتشريعات التي فرضت على بني إسرائيل فإننا سنجدها ماثورة في القرآن الكريم ، وهذه الأحكام لا وجود لها في الأسفار الأربعة والثلاثين التي تتبع ما يسمى أسفار موسى الخمسة ولا وجود لها في سفر التكوين وفي غالبية سفر الخروج .

ولننظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة 83-84].

ففيه عدة أمور يمكن حصرها كالتالي :

- 1- عبادة الله وحده ولا إشراك به .
- 2- بر الوالدين والإحسان إلى ذي القربى والمساكين واليتامى .

3- معاملة الناس معاملة حسنة .

4- إقامة الصلاة .

5- إيتاء الزكاة .

6- النهي عن القتل وسفك الدماء .

ويقول تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المائدة 12].

فإضافة لما ورد في الآية السابقة نرى هنا الدعوة للإيمان بأنبياء الله ورسله والعمل على فعل الخير باعتباره إقراض الله قرضاً حسناً .

وقد كتب الله على بني إسرائيل كثيراً من المحرمات وحددها القرآن الكريم في كثير من الآيات ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [النحل 124] ففي الآية فرض السبت أن لا يعمل فيه بنو إسرائيل .

ويقول تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [النحل 17].

ففي الآية إشارة إلى أن الله سبحانه قد كتب عليهم حكماً أن من يقتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً .

ومن خلال ما تقدم يمكن لنا أن نتعرف على ما حوى كتاب موسى عليه السلام مرتباً حسب الأولويات في عقيدة التوحيد وهي :

1- الإيمان بالله وحده .

2- الإيمان بالرسول وتأيدهم .

3- الإيمان باليوم الآخر .

وهذه الأمور الثلاثة هي ثلاثة أركان من أركان الإيمان التي عرفناها في الإسلام الخفيف ، أما أركان الإسلام بالمعنى الشمولي الذي يعم الأنبياء المرسلين جميعهم فهي :

1 - إقامة الصلاة .

2 - إيتاء الزكاة .

أما المعاملات التي هي ترجمة للإسلام والإيمان فهي :

1 - بر الوالدين .

2 - النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .

3 - معاملة الناس معاملة حسنة .

4 - الإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين .

ويضاف إلى ذلك ما حرم الله من الأكل والمشرب والسب .

ويوضح ذلك بعض آيات القرآن الكريم :

يقول تعالى : ﴿ نُمُّ أَنْتُمْ هَتُولَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْا مُنُونٌ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُورٍ بِبَعْضِ ﴾ [البقرة 85] .

فقد كتب الله عليهم عدم إخراج بعضهم من ديارهم أو قتلهم .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا جُلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران 50] .

وهذا يعني أن هناك محرمات كانت مفروضة على بني إسرائيل فعندما جاء السيد

المسيح عليه السلام أحل بعضها بأمر من وحي الله ليخفف عنهم .

## الوصايا والأحكام في التوراة السامرية

تشير التوراة السامرية إلى لוחي الشهادة اللذين كتب الله فيهما لموسى أحكاماً وتشريعات وتشير هذه التوراة إلى أن الله كتب كلمات ، وقد كررت الحديث عن هذه الكلمات مراراً وفي عدة مواقع .

فجاء في الخروج : (وقال الله لموسى إنني كاتب لك الكلمات هذه . فإن بسبب الكلمات هذه قطعت معك عهداً ومع إسرائيل) "خروج 34 : 27" .

لكن هذه التوراة تورد في السفر المسمى سفر التثنية الاشتراع تفصيلاً لكل الكلمات التي أشارت إليها .

فتقول : (والآن يا إسرائيل اسمع السنن والأحكام التي أنا معلمكم للامثال حتى تحيوا) . وتقول : (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم اليوم ولا تنقصوا منه حفظاً لوصايا الله إلهكم التي أنا موصيكم) .

1- وأول ما يطالعنا من هذه السنن والأحكام العبادة لله وحده وعدم الإشراف به . تقول : (لا يكن لك آلهة أخرى بحضرتي . لا تصنع لك نحفاً وكل شبه مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لها ولا تعبدها إنني أنا الله إلهك القادر المعاقب) "التثنية 5 : 7-9" .

2- وتأتي الوصية الثانية لتؤكد على حفظ حرمة السبت فتقول : (احفظ يوم السبت لقدسك كما وصاك الله إلهك) .

3- ترد بعدها وصية بر الوالدين فتقول : (أكرم أباك وأمك كما وصاك الله إلهك حتى تطول مدتك وحتى يحسن إليك على الأرض التي إلهك معطيك) .

4- وترد بعدها وصية لا تقتل ولا تفسق . لا تسرق . ولا تشهد على صاحبك شهادة زور . لا تتمن بيت صاحبك ولا تتمن زوجة صاحبك وحقله وعبيده وأمه ويقره وحماره وكل ما لصاحبك .

وفي الإصحاح السادس تكرر التوراة السامرية وصايا كلمات موسى فتقول : (الله إلهنا

إله واحد . فلتحب الله إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل جهدك وتقول : احذر أن تنسى الله الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية من الله إلهك فلتخف وإياه تعبد وباسمه تقسم . ولا تضلوا تبع آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولكم) "6 : 12 - 14".

وفي الإصحاح العاشر من سفر التثنية تؤكد التوراة السامرية على العشر كلمات ؛ أي الوصايا التي هي أساس التشريع الموسوي فتقول : (فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى عشر الكلمات التي خاطبكم الله في الجبل من وسط النار) "10 : 4".

وفي الإصحاح الرابع عشر من هذه التوراة يورد سفر التثنية بعض المحرمات والمحلات التي وصاهم موسى أن يتقيدوا بها . فتقول : (لا تأكلوا كل كريمة . وهذه البهائم التي تأكلون بقر وغنم وحملان وماعز وأيل وظبي ويحمور وأروى وأريص وتبتل وزرافة . وكل بهيمة مظلفة ظلماً ومشقوقة شقا ظلفين ومصعدة اجترار من البهائم فإياها تأكلون إلا هذه لا تأكلوا من مصعدي الاجترار ومن مظلفي الظلف . الجمل والأرنبه) .

وتقول : (كل طير طاهر تأكلون وهذا الذي تأكلون منه النسر والكاسر والعنقاء والحدأة والصدأة على أجناسه وكل غراب على أجناسه وأولاد النعام والطاووس والشأف على أجناسه والنصص والبوم والصقر والشاهين والحشاف والقوق والرخم والعقاب والبيغاء على أجناسه) "14 : 18".

وتتابع الوصايا في سفر التثنية وفيها :

1 - ما يتعلق بأحكام الدين وأحكام الحصاد والاسترقاق والصدقات والذبائح والقرايين والقصاص في القتل والاعتداء والشهود والمحاكم ومن ثم العقوبات الخاصة بالزنا والخيانات الزوجية وأحكام الزواج والطلاق ، ثم تورد أحكام الحرب والقتال ، وتورد أيضاً أحكام وعقوبات الأبناء الضالين العاقين ، وأحكام الطهارة والنجاسة للرجل والمرأة والأشياء المادية والحيوانات .

وتستمر التوراة السامرية بذكر كافة القضايا المرتبطة بالحياة الاجتماعية والزراعية والاقتصادية والقضايا الدينية . والواقع أن هذه الأحكام التي وردت في سفر تثنية الاشتراع تندرج في معظمها تحت القواعد الدينية التي نظمت لبني إسرائيل دينهم وديانهم ، على الرغم من أنهم نقضوها وخالفوها وحرّفوا أهدافها عن مسارها . ويشكل

عام نرى أن الكثير من هذه الأحكام يتشابه تماماً مع الأحكام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، إلا ما يتعلق منها بأحكام الحرب والقتل للأغيار، فهي منافية لتعاليم الأنبياء جميعهم ومخالفة لأوامر القرآن الكريم، والديانات الإنسانية جميعها.

وإذا راجعنا سفر التثنية كما ورد في التوراة العبرانية لا نجد كبير فرق بين أحكامها وأحكام التوراة السامرية، فهما يتماثلان بإيراد هذه الأحكام والتشريعات، وهناك اختلافات في بعض الألفاظ؛ فلغة التوراة السامرية لغة غير منظمة وفيها ركاكة وضعف. وإذا كانتا تتفقان في إيراد هذه الأحكام فإن ذلك لا يعني أنهما غير مختلفتين، فهما تختلفان في قضايا جوهرية تمس العقيدة في صلبها وتمس مجرى الحوادث التاريخية التوراتية في أدق تفاصيلها.

## كيف نفهم مضمون التوراة التي تحدث عنها القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن التوراة في تسعة عشر موضعاً ووردت آيات كريمة تشير إلى تحريف هذه التوراة وإخفاء بعض ما جاء فيها .

وإذا سرنا مع الآيات المشيرة للتوراة نرى بعضها وقد تحدث عن بعض الأحكام التي كتبها الله لبني إسرائيل ، ونرى بعضها الآخر يشير إلى أن أحكاماً أخرى موجودة فيها حاول بنو إسرائيل إخفاءها .

وقد أشارت آية من كتاب الله العزيز إلى أن ما وُجد من أحكام وتشريعات في التوراة حكم بها الأنبياء الذين خصهم الله سبحانه لبني إسرائيل .

فقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتَخْفَوْا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة 44-45].

ويقول تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة 43].

وتبين أحاديث رسول الله ﷺ وسيرته تلك الأحكام على ضوء آيات القرآن الكريم التي تتحدث تلك الأحكام .

فقد أخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال: مر على رسول الله ﷺ يهودي محمم قد جلد فسألهم ما شأن هذا؟ قالوا زنى . فسأل رسول الله ﷺ اليهود: ما تجدون حد الزنى في كتابكم قالوا: نجد حده التحميم والجلد فسألهم: أيكم أعلم؟ فتركوا ذلك إلى رجل منهم قالوا: فلان فأرسل إليه فسأله: قال يجد التحميم والجلد فنأشده رسول الله ﷺ

ما تجدون حد الزنى في كتابكم قال نجد الرجم ولكن كثر في عظمائنا فامتنعوا منهم بقومهم ووقع الرجم على ضعفائنا فقلنا نضع شيئاً يصلح بينهم حتى يستووا فيه فجعلنا التحميم والجلد . فقال النبي ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه فأمر به فرجم قال : ووقع اليهود بذلك الرجل الذي أخبر النبي ﷺ وشتموه وقالوا لو كنا نعلم أنك تقول هذا ما قلنا أنك أعلمنا . قال : ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبي ﷺ : ما تجد فيما أنزل إليك حد الزنى؟ فأنزل الله سبحانه : ﴿ وَكَيْفَ تُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ [المائدة 43] . يعني حدود الله . فأخبره الله بحكمه في التوراة قال : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة 45] <sup>(1)</sup> . وفي قوله تعالى : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس . الخ تبين لنا سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه مضمون هذه الأحكام .

فقد أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : لما رأته قريظة النبي ﷺ حكم بالرجم وقد كانوا يخفونه في كتابهم فنهضت قريظة فقالوا : يا محمد ! اقض بيننا وبين إخواننا بني النضير وكان بينهم دم قبل قدوم النبي ﷺ . وكانت النضير ينفرون على بني قريظة دياتهم على أنصاف ديات بني النضير فقال : دم القرظي وفاء دم النضير ، فغضب بنو النضير وقالوا : لا نطيعك في الرجم ولكننا نأخذ بحدودنا التي كنا عليها فنزلت ﴿ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة 50] . ونزل ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج عن ابن عباس ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ﴾ قال في التوراة وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ قال كتب عليهم هذا في التوراة فكانوا يقتلون الحر بالعبد ويقولون كتب علينا أن النفس بالنفس .

وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة " وكتبنا عليهم فيها قال في التوراة قال : إنما أنزل ما تسمعون في أهل الكتاب حين نبذوا كتاب الله وعطلوا حدوده وتركوا كتابه وقتلوا رسله <sup>(2)</sup> .

(1) السيوطي : الدر المنثور في التفسير المأثور مجلد 2 صفحة 505-510-511 .

(2) المرجع السابق نفسه .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران 50] فيفسره الحديث بقوله: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الربيع في قوله (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال: كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى، وحرمت عليهم الشحوم فأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفي أشياء من السمك وفي أشياء من الطير...<sup>(1)</sup>.

ومن خلال آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ [التوبة 111] نستشف أن الجهاد قد فرض على بني إسرائيل وهذا الجهاد ليس هو القتال العنصري كما تدعي التوراة الحالية، بل هو جهاد في سبيل نشر كلمة التوحيد، وجزء من يقاتل في سبيل الله هو الجنة لجميع من يؤمنون بوحدانية الله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه.

(1) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور - مجلد 2 - ص 62.